الفصل الخامس

(تحول الصراع المذهبي إلى صراع كيانات سياسية كبرى)

- ظهور الزيديين ودورهم في إشعال الصراع.
- الصراع الساماني – الزيدي في خراسان وطبرستان.
- ظهور البويهيين كقوة شيعية جديدة.
- التقارب البويهي – القرمطي.

بعدما تناولنا الحديث في الفصول السابقة عن الصراع المذهبي داخل الدويلات السامانية والغزنوية ومن قبلهم الطاهريون والصفاريون وهو صراع بين المذاهب السنية والشيعية والخوارج والكرامية، وبالطبع غلبة وقوة المذهب السني عكست الصراع الاجتماعي الموجود بين الطبقات آنذاك، وكذلك أسهمت مساندة الخلافة العباسية في تكريس المذهب السني وسيطرته في خراسان وفي ولايات المشرق عموماً. فالآن ننتقل إلى صراع مذهبي لكن من نوع آخر وهو صراع الكيانات السياسية الكبرى المتمثلة في الدولة البويهية والزيدية الشيعيين الزيديتين في مواجهة المعسكر السني المتمثل في السامانيين والغزنويين، إذن نحن بصدد الانتقال من صراع السلطة ضد الأفراد إلى صراع الدويلات.

الزيديون بطبرستان ودورهم في إشعال الصراع :

إن مجيء الزيديين إلى طبرستان قد أحدث تغيراً في خريطة الصراعات المذهبية لكونهم شيعة زيديين، لكن هناك أسباب لمجيئهم إلى تلك المنطقة بل وإقامة كيان شيعي كبير.

والسبب الرئيسي في إقامة دولتهم أن الخليفة المستعين بالله العباسي (٢٤٨ – ٢٥٢هـ / ٨٦٢ – ٨٦٦م) بعد القضاء على "يحيى بن عمر العلوي"[*] الذي خرج ضد الخلافة فأراد مكافأة محمد بن عبد الله بن طاهر على قتله ليحيى بن عمر بالكوفة ؛ فأقطعه عدة قطائع سلطانية بعضها في الثغرين من طبرستان المعروفين كلار[*] و

(*) يحيى بن عمر العلوي : هو الإمام أبو الحسين يحيى بن عمر بن يحيى بن الحسين بن زيد بن علي بن الحسين السبط ، خرج إلى خراسان عام ٢٤٨هـ داعياً ، فرده عبد الله بن طاهر إلى بغداد ، فأم. الخليفة المتوكل بضربه وحبسه ثم أطلقه ، ثم توجه إلى الكوفة في أيام الخليفة المستعين بالله (٢٤٨-٢٥٢هـ) فاستولى عليها ، فأمر محمد بن عبد الله بن طاهر بقتاله بجيش كبير، فهُزم يحيى وقتل عام ٢٥٠هـ وحملت رأسه إلى المستعين . (انظر:السيد مجد الدين بن محمد بن منصور المؤيدي ، التحف شرح الزلف ، ط٣ . مكتبة بدر للطباعة والنشر والتوزيع – صنعاء ١٤١٧هـ/١٩٩٧م ، ص١)

(*) كلار: مدينة في جبال طبرستان بينها وبين آمل ثلاث مراحل وبينها وبين الري مرحلتان،

شالوس[*] مما يلي بلاد الديلم، يجاورها قد ضم أيضاً في إقطاع محمد بن عبد الله ابن طاهر منها أرض بها مرافق أهل الثغور ومنطقة أعشابهم ومحتطبهم، وأيضاً مراعي ماشيتهم، فهذه الأراضي موات أي ليس لأحد عليها ملك، بالإضافة إلى أنها ذات أشجار وكلأ، وهنا ثار أهل طبرستان ووجدوا ضالتهم في الحسن بن زيد العلوي الذى تلقب بالداعي إلى الحق الذي أسلمت على يده أطراف الديلم واجتمع إليه (٢٥٠ - ٢٧٠هـ / ٨٦٤ - ٨٨٣م) جمع كثيف من جماهيرهم ومن المسلمين المرابطين في الثغور ثم خرج إلى طبرستان عام (٢٥١هـ / ٨٦٥م) فملكها وأخرج عثمان بن عبد الله بن طاهر وسائر من كان معه من آل طاهر[١]، وفى نفس الوقت خرج بالرى علي بن جعفر العلوي مناصراً الحسن بن زيد الذي استطاع دخول آمل عاصمة طبرستان[٢].

ويذكر أحد المؤرخين[٣] سبباً آخر لقيام أو مجيء الحسن بن زيد إلى طبرستان وهو ظلم عامل الخليفة على طبرستان "محمد بن أوس البلخي" لأهل المنطقة والاستيلاء على أراضيهم وجباية الخراج عنوة. ومنذ ذلك الوقت أعلن الحسن بن زيد قيام الدولة الزيدية وأمر أن ينادى الآذان يحيى على خير العمل.

لم يتوقف الحسن بن زيد عند هذا الحد بل نجح في ضم جرجان بعد أن هزم جيش

وينسب إليها الفقيه محمد بن حمزة الكلاري. (أنظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤، صـ٤٧٤)

(*) شالوس : هى مدينة بجبال طبرستان وهى أحد الثغور ، بينها وبين الرى ثمانية فراسخ وينسب إليها أبو بكر محمد بن الحسين بن القاسم الطبري الفقيه.(انظر: ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ط دار صادر. بيروت ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م ، ج٣ ، ص٣١١).

(١) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج١١ ، ط١ ، مكتبة الإيمان – المنصورة ، ب . ت ، ص٧ ؛ أبى اسحق بن هلال الصابى : المنتزع من الجزء الأول من الكتاب المعروف بالتاجى في أخبار الدولة الديلمية ، ص١١ ؛ مجهول العيون والحدائق في أخبار الحقائق ، ج٣ ، ص ٥٧٠ ؛ عبد الفتاح السرنجاوى : الخلافة العباسية ، ص٥٥

(٢) ابن الجوزى ، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، ج١٢ ، ص٤٩

(٣) حسن الأمين ، دائرة المعارف الإسلامية الشيعية ، ط . دار التعارف –بيروت ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م ، ج١٢ ، ص١٢٨

محمد بن طاهر الذي انتفض عليه كثير من الأعمال التي يجبي خراجها[1]، ومن بعده جاء محمد بن زيد وتلقب بلقب أخيه الداعي إلى الحق (٢٧٠-٢٨٧هـ/ ٨٨٣ – ٩٠٠م) وظهرت منه أحوال جميلة وأفعال جليلة وعدل وأسلم على يده قوم من الديلم ، وكان له دور مؤثر في مناوشات مع السامانيين عندما سار إلى جرجان وكان عليها عمرو بن الليث الصفاري الذي أسره إسماعيل بن أحمد الساماني جيشاً كثيفاً فهزمه وقتل في الحرب وأسر ابنه زيد بن محمد بن زيد وحمل إلى بخارى[2]'ومن أعلام الزيديين الذين برز دورهم هو الحسن بن على أو الناصر الأطروش (٣٠١ – ٣٠٤هـ / ٩١٣ – ٩١٦م) وهو كبير علويي جيلان[*] في تلك الآونة فقد اتبعه كثير من الديلم واستطاع توطيد نفوذ العلويين في طبرستان للهجوم على مقر السامانيين في خراسان بل وقام بإرسال جيوشه إلى اضطرار السامانيين للتصالح مع الناصر الأطروش الداعي الصغير الذي توفى في عام(٣٠٤هـ / ٩١٦م) تاركاً الحسن بن قاسم الداعي الصغير(٣٠٤-٣١٦هـ /٩١٦ – ٩٢٨م) حفيده الذى سقطت في عهده الدولة الزيدية بطبرستان[3].

الصراع الساماني – الزيدي في طبرستان وخراسان :

اتخذ هذا الصراع شكلاً مذهبياً بين الدولة السامانية السنية والدولة الزيدية الشيعية، لكنه انطوى على أحداث سياسية اجتماعية تسببت في اشتعال حدة الصراع بين الطرفين.

وبدأت منذ وصول منشور ولاية خراسان إلى الأمير إسماعيل بن أحمد

---

(٤) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج٦ ، ص ٢٣٣ ؛ ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج٣ ، ص٣٧٩

(٥) أبى اسحق الصابى ، المصدر السابق ، ص ١٤-١٥

(*) جيلان: هي اسم لبلاد كثيرة من وراء بلاد طبرستان، وليس في جيلان مدينة كبيرة إنما هي قري في مروج بين الجبال والعجم. (أنظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢، صـ٢٠١).

(١) أحمد شلبى ، التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية ، ط٢ ، مكتبة النهضة ١٩٦٦م ، ج٤ ، ص٤٥ ؛ عباس إقبال : تاريخ ايران ، ص ٢١٠ ؛ سيد خير الدين بن سيد نصير الدين مرعشي : تاريخ طبرستان ورويان ومازندران ، ط تهران ، ١٣٣٣ هـ.ش ، ص٢١٥

الساماني من الخلافة العباسية عام (٢٧٩هـ / ٨٩٢م)، ولاسيما في ذلك الوقت أن الأميرالزيدي محمد بن زيد الذي تولى إمارة طبرستان عام (٢٧٠هـ / ٨٨٣م) بعد وفاة الحسن بن زيد كان يطمع في السيطرة على خراسان بعد انتهاء حكم الصفاربين لها، ظناً منه أن السامانيين اكتفوا بهزيمة عمرو بن الليث واثبات وجودهم في المنطقة[١].

ولعل محمد بن زيد خشى أن تكون سيطرة السامانيين على خراسان بداية لمد نفوذهم إلى الولايات التابعة لدولته كجرجان وطبرستان ؛ لذلك سار بجيشه نحو خراسان، وفضل الهجوم عليها قبل أن يفيق السامانيون من متاعب حروبهم ضد الصفاريين[٢]، وفى نفس الوقت حرص الزيديون على نشر مذهبهم الشيعي الزيدي في خراسان التي غلب عليها المذهب السني الذي هو مذهب الخلافة[٣].

وقد حاول إسماعيل بن أحمد الساماني إثناء محمد بن زيد عن نواياه التوسعية في خراسان باتصالات ومراسلات سلمية دون جدوى[٤]؛ لذلك أمر بخروج جيشه بقيادة أحد أعوانه وهو "محمد بن هارون" حيث سار نحو جرجان والتقى بجيش الزيديين، ورغم الانتصارات التي حققها جيش محمد بن زيد في بداية المعركة فإنه سرعان ما حلت الهزيمة بجيشه، وكانت أهم نتائج هذه المعركة استيلاء الدولة السامانية على ولايتي جرجان وطبرستان، فاتسع نفوذ السامانيين في هذه المناطق[٥].

---

(٢) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، ج٨ ، ص ٢٠٤ ؛ مسعود أحمد مصطفى : أقاليم الدولة الإسلامية بين اللامركزية السياسية واللامركزية الإدارية ، ص ٢١٧ ؛ سيد خير الدين بن سيد نصير مرعشى : المرجع السابق ، ص٢١١

(١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ ، ج٦ ، ص٦٦ ؛ ابن كثير البداية والنهاية : ج١١ ، ص٨٣ ؛ ابن اسفنديار: تاريخ طبرستان ، ص٢٦٠

(٢) فتحي أبو سيف ، المشرق الإسلامي بين التبعية والاستقلال ، ص٢٢٠

(٣) ابن الأثير ، الكامل ، ج٦ ، ص ٩٦ ؛ عبد الله رازى : تاريخ كامل إيران ، ص١٦٧

(٤) الطبرى ، تاريخ الأمم ، ج٨ ، ص ٢٠٤ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ، ج١١ ، ص٨٣ ؛ النرشخى : تاريخ بخارى ، ص١٠٧؛ حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسى ، ج٣ ، ص٨٠

واستمرت خراسان تتصدى للحركات العلوية التي قامت ضد السامانيين في ولايتي جرجان وطبرستان، فقد شهدت السنوات الأخيرة من حكم إسماعيل بن احمد الساماني تحديداً عام (٣٠١هـ/ ٩١٣م) ظهور الحسن بن علي الذي اشتهر بالناصر الأطروش (*) (الذي تلقب بالداعي تمثيلاً بأمراء الدولة الزيدية وقد استطاع أن يستميل جانب كبير من الديلم وأسلم على يديه خلق كثير اعتنقوا المذهب الشيعي الزيدي وأصبحوا مناصرين له، حتى إنه كان يجمع منهم الخراج[١]، ثم دعاهم إلى الخروج معه للقضاء على سيادة السامانيين في طبرستان إلا أنه هزم أمام قوات السامانيين التي قادها أحمد بن إسماعيل الساماني مما اضطره إلى الرجوع إلى أراضي الديلم[٢].

إلا أن الظروف قد تغيرت وتحولت لصالح الحسن الأطروش ؛ وسبب ذلك أن عامل طبرستان (بارس الكبير) قد بلغ ثراءً فاحشاً باغتصاب أموال الناس وظلمهم، فهرب إلى بغداد بعدما علم بمجيء الأمير الساماني احمد بن إسماعيل له، لكن غضب الأمير من يده، الأمر الذي أدى إلى إثارة أهالي طبرستان وغضبهم وانضمامهم وتدعيمهم للحسن الأطروش[٣].

وبدأ الأطروش في اتخاذ سياسة عنيفة إزاء تواجد الفرق الخراسانية العسكرية التابعة للسامانيين، فضلاً عن تواجد كثير من الإداريين الخرسانيين الذين قدموا إلى طبرستان بعد تبعيتها للدولة السامانية ؛ فأقدم الأطروش على

(*) الناصر الأطروش: هو الحسن بن علي بن الحسن بن عمر بن زين العابدين العلوي الهاشمي ثالث أئمة الدولة العلوية بطبرستان وكان مولده بالمدينة ، تولى الامامة بعد مقتل سلفه محمد بن زيد عام ٢٨٧هـ ، وكانت طبرستان خرجت من يده فلم يستطع الإقامة فيها فخرج الى بلاد الديلم فأقام ١٣ عام وكان اهلها مجوس فأسلموا وبنى في بلادهم المساجد ونشر بينهم المذهب الزيدي، ثم ألف منهم جيشا وزحف به الى طبرستان فاستولى عليها عام ٣٠١هـ ، ولقب بالناصر وكان يدعى الاطروش لصمم أصابه من ضربة سيف في معركة (انظر: خير الدين الزر كلي، الأعلام ط١٣ . دار العلم للملايين-بيروت ١٩٩٨م ،ج٢ ، ص٢٠٠).

(١) ابن الأثير ، المصدر السابق ، ج٦ ، ص١٤٦ ؛ المسعودي : مروج الذهب ، ج٤ ، ص٢٣٦

(٢) فتحي أبو سيف ، المرجع السابق ، ص٢٢٣

(٣) فامبرى ، تاريخ بخارى ، ص١١٢

قتل هؤلاء الخراسانيين ونهب أموالهم، مما أضعف السامانيين في هذه الولاية[١].

ومنذ تلك اللحظة أصبح الأطروش في موضع قوة لا بأس بها، لاسيما أن تولى محمد بن صعلوك ولاية طبرستان من قبل السامانيين الذي اتبع سياسة العنف للقضاء على أهالي طبرستان المطالبين بحقوقهم، وبالفعل حدثت معركة كان النصر فيها للحسن الأطروش[٢]، ويبدو أن حجم هذه الهزيمة التي لحقت بالجيش الساماني جعلت الأمير أحمد بن إسماعيل يقدم على تعيين نائب جديد على طبرستان، فأعد هذا الوالي بعض الفرق العسكرية الخراسانية، وسار نحو طبرستان فما أن وصل الولاية حتى باغته الأطروش بالقتال وألحق به هزيمة أخرى، وتمكن الأطروش بعد ذلك من تدعيم حكمه لطبرستان، فأطلق على نفسه لقب "الناصر الكبير"[٣].

ويذكر الطبرى[٤] أن الناس لم تر مثل عدل الأطروش . وهذا يوضح لنا قوة الجانب الشيعي الزيدي في مواجهة الدولة السامانية وقدرتهم على هزيمتهم.

وأدركت الدولة الزيدية بعد سيطرتها على طبرستان ما تقوم به خراسان من دور في الصراع بينهم وبين السامانيين، فمن خراسان تخرج حملات السامانيين العسكرية، وعلى مواردها الاقتصادية ترسل المؤن اللازمة لهذه الحملات ؛ لذلك وجه "الحسن بن القاسم[*]، الذى تولى إمارة الدولة الزيدية بعد موت الأطروش (٣٠٤هـ / ٩١٦م) حملة عسكرية إلى خراسان نفسها،

---

(٤) ابن اسفنديار ، المصدر السابق ، ص٢٢٦

(٥) ابن الأثير ، نفس المصدر ، ج٦ ، ص١٤٦

(١) فتحى أبو سيف ، نفسه ، ص٢٢٤

(٢) المصدر السابق ، ج٨ ، ص٢٢٠

[*] الحسن بن قاسم (٣٠٤ – ٣١٦هـ / ٩١٦م – ٩٢٨م) : هو زوج حفيدة الناصر الأطروش اشتهر بلقب الداعي الصغير وهو من الفرع الحسنى أو السادات الحسنيين تولى الإمارة بعد وفاة الأطروش (انظر: خير الدين الزر كلي ، الأعلام ، ج٢ ،ص١٥٠).

وجعل على قيادة هذه الحملة أحد قادة الديلم ويعرف ب"ليلى بن النعمان" الذي اتجه نحو نيسابور واقتحمها بجيشه عام (٣٠٨هـ -٩٢٠م) وبالفعل استولى عليها، وأصبحت الخطبة تقرأ في نيسابور للحسن بن قاسم الداعي الصغير[١]، ثم هاجم بعد ذلك طوس لكنه مني بهزيمة من السامانيين عام (٣٠٩هـ / ٩٢١م) وقتل على إثرها ليلى بن النعمان وتم استعادة نيسابور مرة أخرى[٢].

وبعد استرداد نيسابور من أيدي العلويين والانتصارات التي حققها جيش السامانيين ننتقل إلى مسرح صراع آخر وهي مدينة جرجان التي نجح في الاستيلاء عليها الديلمي "ليلى بن النعمان" وذلك قبل دخوله نيسابور وقتله الذي أثار العلويين بطبرستان وأدى إلى اشتعال ثورة العلويين في المناطق المجاورة[٣].

لكنْ هناك تساؤل مهم ألا وهو لماذا وُجد هذا الصراع الشرس حول جرجان بالرغم من الأهمية الكبرى لخراسان التي استردها السامانيون ؟ وذلك لعدة أسباب : الأول هو وقوعها في مكان استراتيجي بين خراسان وطبرستان الأمر الذي يسهل وصول الإمدادات العسكرية والمؤن أثناء الحرب.

أما السبب الثاني الذي أورده ابن حوقل[٤] ونكاد نعتبره هو السبب الأساسي وهو المكانة الاقتصادية الهامة وأيضاً التجارية حيث وجود الضياع العريضة والأراضي الخصبة الصالحة للزراعة وخصوصاً زراعة البذور المنتجة للحرير؛ لذلك لا يوجد حرير أفضل من الموجود بجرجان وأيضاً

---

(٣) ابن الأثير ، المصدر السابق ، ج٦ ، ص١٤٦

(٤) عباس إقبال ، تاريخ إيران بع الإسلام من بداية الدولة الطاهرية حتى نهاية الدولة القاجارية ، ص٢٨

(٥) رزق الله منقريوس الصرفي ، تاريخ دولة الإسلام ، ج١ ، ص٢٧٦ ؛ فامبرى : تاريخ بخارى ، ص١١٤

(١) ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص٣٢٤

زراعة الفواكه بأنواعها، الأمر الذي أدى إلى جعلها ممراً تجارياً هاماً ومدينة تجارية هامة.

وهناك سبب ثالث هام وهو مرتبط بالناحية العسكرية حيث يغلب عليها طبيعة حصينة تمكن من يملكها من السيطرة على زمام الأمور بسبب القلاع الكثيرة الحصينة[1]، ولتلك الأسباب كان الصراع على أشده بين السامانيين والزيديين على جرجان.

ونكاد نلمح سبباً آخر في رغبة العلويين في السيطرة على جرجان ألا وهو انتشار المذهب الشيعي الزيدي بها واتخاذ جرجان كقاعدة انطلاق مثل طبرستان للسيطرة على المناطق المجاورة مثل إقليم جيلان ؛ لمواجهة السامانيين من ناحية، والدعوة إلى مذهبهم الشيعي من ناحية أخرى.

ظهور البويهيين كقوة شيعية جديدة :

بداية نشير إلى نشأة هذا الكيان الشيعي البويهي وما قال به المؤرخون من أسباب حول قيام دولة البويهيين، حيث أشار ابن الطقطقي[2] إلى أن الأسباب الاقتصادية والاجتماعية كانت سبباً رئيسياً متمثلة في الأوضاع الكائنة المليئة بالفقر والمذلة والمسكنة ومعاناة الحاجة والاضطهاد من قبل الخلافة العباسية والدويلات المتمثلة لها وحراسها في المشرق مثل السامانيين والغزنويين، وهذا ما قد بيناه في الفصل الخاص بالصراعات الاجتماعية.

وقد ذهب السيوطي[3] معضداً هذا الإتجاه حيث يرجع نشأة بويه نفسه إلى جذوره وحالته الاجتماعية الفقيرة كعامل يصيد الأسماك، وغيره من المؤرخين المحدثين يقولون بنفس الرأي المؤيد للخلفية الاجتماعية، ولاسيما في ظل حالة الضعف والوهن التي أصابت الخلافة العباسية[4].

---

(٢) نفسه، نفسه، ص٣٢٥

(٣) الفخري في الآداب السلطانية ، ط١ . المعارف – مصر ١٩٢٣ ، ص ٢٤٩ ؛ السرنجاوى : الخلافة العباسية ، ص١٠٤

(١) تاريخ الخلفاء ، ص٣٨٦ – ٣٨٧

(٢) السرنجاوى، المرجع السابق، ص١٠٤ ؛ أحمد مختار العبادى: في التاريخ العباسي والفاطمي،

وأبسط دليل على ذلك هو تمكن البويهيين بقيادة "معز الدولة أحمد بن بويه" من دخول بغداد عاصمة الخلافة العباسية السنية في عام (٣٣٤هـ - ٩٤٥م) وبسط نفوذهم عليها[١]، فلم يعترفوا بأحقية الخليفة العباسي السني في زعامة المسلمين، ومن ثم فلم يكن للخليفة من نفوذ سوى اسمه في خطبة الجمعة ونقش اسمه على السكة وكتابته على الطراز[٢].

أما عن مجابهة هذا الكيان الشيعي الكبير للسلطة السامانية السنية، فقد أخذ عدة صور في مناطق عدة حيث بدأ الصراع الشيعي – السني في منطقة الري التي استولى عليها "الحسن بن فيروزان" أحد دعاة الشيعة الزيدية من الديلم عام (٣٣١هـ - ٩٤٢م)[٣].

وقد ظلت مشكلة استيلاء البويهيين على الري تؤرق الأمير السامانى نوح بن نصر(٣٣١ – ٣٤٣هـ / ٩٤٢ – ٩٥٤م) الذي ذهب إلى خراسان وأمر بقيام حملة عسكرية تجاه الري بقيادة "ابن محتاج" وبالفعل تم السيطرة على الري عام (٣٣٣هـ - ٩٤٤م) وعين عماله على النواحي المجاورة لها[٤]، ولكن سرعان ما عادت سيطرة البويهيين على الري فأمر الأمير السامانى بخروج حملة عسكرية عام (٣٣٧هـ / ٩٤٨م) إلا أنها فشلت في استعادتها وكان لهذه الحملة أثرها العكسى ؛ إذ أيقن البويهيون أن خراسان هي مصدر الخطورة والقلاقل والتي تخرج منها الحملات السامانية فاستقر رأي الأخوة الثلاثة على والحسن وأحمد أبناء بويه على تقليد "الحسن بن بويه" ولاية خراسان نفسها، وبدءوا في إعداد حملة للسيطرة عليها[٥].

ط١ الإسكندرية ب.ت، ص١٦٢

(٣) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج٦ ، ص ٢٧٢ ؛ عبد النعيم حسنين : إيران و العراق في العصر السلجوقي ، ص١٧

(٤) أحمد رمضان ، الخلافة في الحضارة الإسلامية ، ص٨٩

(٥) ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص ٣٢٥

(٦) خواندمير، حبيب السير، تحقيق: دكتر محمد دبير سياقي ، جاب أول هزار نسخه بسال ١٣٣٣هـ. ش ، جلد دوم ، ص٣٦١

(١) ابن مسكويه ، تجارب الأمم ، ج٢ ، ص١١٧

وظل الصراع بين البويهيين والسامانيين على هذه الجبهة لامتلاك الري وجرجان وطبرستان بعد أن فشل البويهيون في بقاء السيطرة عليها، إلى أن انتهى الأمر بصعود نجم البويهيين فسار ركن الدولة إلى طبرستان (٣٥١هـ - ٩٦٢م) التي كان يحكمها "وشمكير بن زيار" نائباً عن السامانيين، فحاصره ركن الدولة في مدينة سارية بطبرستان حتى استطاع امتلاكها، ثم تابع سيره حتى جرجان واستولى عليها استيلاء كاملاً بعد طرد وشمكير عنها[١].

ويمكن في النهاية تفسير الصراع (السامانى– البويهي)– الذي في ظاهره اتخذ لباساً مذهبياً وسياسياً – على أساس اقتصادي بحت حيث كانت الخصومة المستمرة تستهدف السيطرة على محطات القوافل والطرق التجارية في آسيا ولاسيما أن إمارة السامانيين كانت حارسة الطرق التجارية، كما كانت لتجارة العبيد أهمية خاصة[٢].

لكن هناك إشارة من أحد المؤرخين[٣] إلى وجود صلح بين القوتين البويهية – السامانية من حيث التعاون على سيولة التجارة الشرقية، فتصالحا وأشهدا على كتاب الصلح كبار التجار في خراسان وفارس والعراق.

ومن الملاحظ أن قدرة البويهيين على مقاومة السامانيين بل والتغلب عليهم أحياناً متزامن مع نشاط شيعي إسماعيلي في خراسان وما حولها وإن كان يقمع من قبل السلطة، لكن هذا يعكس مدى تغلغل المذهب الشيعي سواء زيدي أو إسماعيلي داخل خراسان وقدرته على المقاومة[٤]. ولم يكن صراع البويهيين كشيعة ضد السامانيين السنة فقط، ولكن دخلوا أيضاً في صراع مع الدولة الغزنوية السنية المتمثلة في السلطان محمود الغزنوى الذي استطاع

---

(٢) ابن الأثير ، المصدر السابق ، ج ٧ ، ص٣.

(٣) موريس لومبار ، الإسلام في مجده الأول ، ترجمة : إسماعيل العربي ، ط١ ، الجزائر ١٩٧٩م ، ص٧١

(٤) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٨، صـ٢٢٥.

(١) كراتشكوفسكي ، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ترجمة : صلاح الدين عثمان هاشم ، ط . موسكو – لينجراد ١٩٥٧م ، ص٢٢٦

هزيمة البويهيين في عام (٣٨٧هـ / ٩٩٧م) وضم أملاكهم في الري، بل وأسر الأمير مجد الدولة البويهي مقيداً إلى خراسان، وكتب إلى الخليفة القادر بالله العباسي يعلمه بذلك، فكتب إليه القادر عهداً على خراسان والجبال والسند والهند وطبرستان وسجستان ولقبه بيمين الدولة وناصر الملة نظام الدين ناصر الحق[١].

فضلاً عن أن السلطان محمود الغزنوي استطاع أيضاً تجريد البويهيين من آخر أملاكهم عام (٤٢٠هـ -١٠٢٩م) عندما ضم الجبال بجانب الري مستغلاً التناحر والتفكك الذي أصاب الأسرة البويهية، مما سهل المهمة فيما بعد أمام السلاجقة الأتراك السنيين الذين استطاعوا إخراج البويهيين من بغداد والقضاء على سلطانهم عام (٤٤٧هـ / ١٠٥٥م)[٢].

ويعتبر الصراع البويهي– الغزنوي حلقة من حلقات الصراع(السني-الشيعي) في المنطقة، ويمكن تفسيره على ما سبق من صراع البويهيين ضد السامانيين، حيث السيطرة على طرق التجارة والقوافل، ولاسيما أن محمود الغزنوي كان يعمد إلى تصفية أعدائه من الأملاك والأموال وضم الخزائن مثلما فعل في الهند.

من ناحية أخرى يكشف لنا أبو إسحق الصابى[٣] عن وجود مناصرين لمذهب الإمام أحمد بن حنبل السني في إقليم الجيل وانتشر على يد رجل يكنى "أبا جعفر" وأول أمره مع أهل البلاد أنه أسلم على يده رئيس يقال له "شاهجيل" وبالتالي أصبح "أبو جعفر" عميد وفقيه المذهب الحنبلي، مما نتج عنه تعصب وحروب بين سنية الجيل وشيعة الديلم الزيديين، وشعار السنة تسويد الأعلام وقولهم في الآذان "الصلاة خير من النوم"، وأضدادهم التشيع وتبييض الأعلام وقولهم "حى على خير العمل".

---

(٢) ابن العماد الحنبلي ، شذرات الذهب ، ج٣ ، ص١٢٧ ؛ الكرديزى : زين الأخبار ، ص٣١٣

(٣) البيهقي، تاريخ البيهقي، صـ٢٨٩؛ الكرديزي: زين الأخبار، صـ١٩٣؛ بوزورث ، المرجع السابق ، ص١٤٤

(٤) التاجى في أخبار الدولة الديلمية ، ص١٧

فالشاهد من ذلك النص أن البويهيين الزيديين دخلوا في خصومات ضد المذهب السني سواء الحنفي أو الحنبلي كما ذكر، فضلاً عن أنها إشارة نادرة من أحد المصادر إلى وجود للمذهب الحنبلي في إقليم الجيل.

لكن هذا يجرنا إلى نقطة أخرى حفلت بها الكثير من المصادر والمراجع ألا وهى تسامح البويهيين سواء على الصعيد المذهبي أو حتى العقائدي، فقد كانت سياسة البويهيين عملية واقعية تتماشى مع مصالحها ومبادئها ولا تتعارض مع مبدأ التعايش السلمي مع المذاهب والأديان الأخرى ؛ لذلك حرص البويهيون على إظهار الاحترام للخلافة العباسية السنية حتى لو شكلاً، وفي الوقت نفسه حرصوا على توثيق علاقاتهم بالخلافة الفاطمية الشيعية الإسماعيلية في مصر[١].

ولاسيما أن ذلك التسامح انعكس بدوره على الحياة الاجتماعية وذلك برعاية طبقة العامة وعدم الإجحاف والظلم إلى حد ما، وتبني قضية العدل الاجتماعي بصفة عامة عند الشيعة[٢].

ولعل هذا يشبه ما فعله الفاطميين الشيعة من تسامح مع بقية المذاهب الأخرى أثناء حكمهم لمصر مما يؤكد تفسير "جواتياين"[٣] لأثر نمو الطبقة الوسطى في عهد الفاطميين حيث وصفها بأنها بدت مكتملة النشأة بنماذج حياتها المتينة البنيان وموازين قيمتها الثابتة.

الأمر الذي أدى بالفعل إلى تسامح مذهبي من قبل البويهيين ويشهد على ذلك عقد مجالس المناظرة بين جميع المذاهب الفقهية آنذاك، ففي سنة(٣٦٠هـ - ٩٧٠م) عقد معز الدولة البويهي مجلساً للمناظرة في ديوان فسيح بداره وحضر ذلك المجلس القاضي"أبو حامد المروروذي الشافعي" (ت : ٣٦٢هـ /٩٧٢م)، و"أبو الجيش" شيخ الشيعة و قاضى القضاة "ابن معروف" الحنفي[٤].

---

(١) أحمد مختار العبادى ، المرجع السابق ، ص١٦٥،١٦٦

(٢) عباس بروين ، ديالمة وغزنويان ، ط . تهران ١٣٣٦هـ.ش، ص٣٦٦

(٣) دراسات في التاريخ الإسلامي والنظم الإسلامية ، ص١٤٩

(٤) طه حسين ، القضاء في بغداد في العصر البويهى (٣٣٤ – ٤٤٧هـ/ ٩٤٦ – ١٠٥٥م) ، رسالة

فنحن نرى أن هناك ربطاً بين الطبقة الوسطى وميلها نحو الطبقة العامة ومساعدتها في ثوراتها وبين أثر الزيديين و الفاطميين الإسماعيلية الذين برعوا في العلم والأدب، ونذكر في هذا الصدد ابن العميد(*).

أي أن البويهيين المعروفيين بالمذهب الزيدي – على عكس ما يقول به "بوزورث"(١) من أنهم اثنى عشرية – ساهموا في إكساب الأصول الكلامية للمذهب الشيعي شيئاً من العقلانية والترتيب، وفي هذا الصدد تظهر بجلاء جماعة إخوان الصفا الفكرية التي باشرت في ظل بني بويه ألوان الفلسفة والحكمة(٢).

على الصعيد العقائدي نجد أيضاً التسامح، ومن مظاهره أن عضد الدولة البويهى اتخذ وزيرين أحدهما كان نصرانياً وهو "نصر بن هارون" وكان له النظر في شئون فارس، كذلك ركن الدولة اتخذ كاتباً نصرانياً(٣).

التقارب البويهى – القرمطى :

ومن الملفت للنظر أن هناك تقارباً سياسياً قد حدث بين هاتين الفرقتين بالرغم من اختلافهما في فروع المذهب الشيعي فالبويهيون زيديون أما القرامطة اسماعيليون، لكن هذا التقارب بالتأكيد له أهداف وأسباب جعلت منه كياناً قوياً يقف في وجه الخلافة العباسية.

حيث جاءت فكرة التقارب بين البويهيين والقرامطة من أساس فكرة أو

ماجستير. إشراف د/ أحمد رمضان ، ط١. القاهرة ٢٠٠٦ ، ص٩٨.

(*) ابن العميد : هو الأستاذ الرئيس الوزير أبو الفضل محمد بن الحسين العميد ، كاتب المشرق وعماد ملك آل بويه وصدر وزرائهم ، برع في علوم الحكمة والنجوم ، ونبغ في الأدب والكتابة وابتدع طريقة الشعر المنثور ، حتى قيل فيه "بدأت الكتابة بعبد الحميد وختمت بابن العميد" ، ثم تول وزارة ركن الدولة البويهى (٣٢٨ هـ / ٩٣٩م) وتوفى عام (٣٦٠هـ / ٩٧٠م)(انظر:السيد أحمد الهاشمى ، جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب، ط٢٧ . مصر١٣٨٩هـ- ١٩٦٩م ،ج٢، ص١٦٧،١٦٨).

(١) الأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلام ، ص١٤٥

(٢) أحمد شلبي ، التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية ، ص٥٢

(٣) شوقي ضيف ، عصر الدولة والإمارات ، ج٤ ، ص٥٠١،٥٠٥

خطة نشر المذهب الإسماعيلى، الذي قد بدأ في التواجد بقوة داخل المشرق عموماً وخراسان خاصة، ولاسيما أن هناك تغييراً قد طرأ على وسائل الدعوة وأساليبها ذلك التغيير تغييراً داخلياً نتج عن تغير في البناء الاجتماعي لتلك البلاد، لكنه أثر من آثار تعديل السياسة العامة للدعوة الإسماعيلية التي اتجهت منذ عصر المعز لدين الله الفاطمي إلى خارج حدود مصر والمغرب مثل خراسان[١].

ولقد عملت فرقة القرامطة الثورية التي انبثقت من الفرع الإسماعيلى[٢]، على التواجد بقوة بل والاستفادة من نجاح دعوتهم في البحرين والأحساء ونجاح الكيان الشيعي الآخر وهو الزيدي البويهي، وبناء على ذلك حدث اتفاق على اقتسام الفائدة من ضرائب التجارة الخليجية ومن الطرق التجارية البرية في شرق الجزيرة العربية، واستمر التحالف القرمطي – البويهي، ومن آثاره مساعدة القرامطة للبويهيين في حربهم ضد السامانيين في الري[٣].

وهذا التحالف أو التقارب بين القرامطة والبويهيين، قد ساعد الطرفيين في السيطرة على تجارة الخليج العربي وأيضاً على تضييق الخناق على الخلافة العباسية وتهديد طرق تجارتها، بالإضافة إلى تحالفهما لإحباط المشروعات الفاطمية بصدد تحويل طريق التجارة من الخليج إلى البحر الأحمر[٤].

والجدير بالذكر أن هذا نابع من كون القرامطة قد انتهجوا منهجاً اشتراكياً عظيماً، ويصف لنا ناصر خسرو في هذا الصدد أثناء رحلته أن القرامطة في الأحساء، كانت السلطة تمنح قرضاً لأحد المتعسرين ولا يطالب بدفع ربح عنه، بل والغريب أن الذي يحسن إحدى الحرف يقرض عند وصوله إلى هذا الإقليم مبلغاً من المال يستعين به على شراء عدده، وإذا تهدمت دار أو مطحنة

---

(١) محمد السعيد ، دولة الإسماعيلية في إيران ،ص٨٤

(٢) الشهرستاني ، الملل والنحل ، ج١ ، ص٤٢٧

(٣) فاروق عمر ، التاريخ الإسلامي وفكر القرن العشرين(دراسة نقدية في تفسير التاريخ) ، ط١ . مؤسسة المطبوعات العربية - بيروت ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م ، ص٢٧٥

(٤) كلود كاهن، تاريخ العرب و الشعوب الإسلامية، ط. بيروت ١٩٧٧م ، صـ٢٠٦.

وعجز صاحبها عن إصلاحها، فإن حكام الإقليم ينيطون ببعض عبيدهم إتمام هذا الإصلاح من غير أجر، وللحكومة أيضاً مطاحن تتفق عليها ويطحن الناس فيها قمحهم بالمجان[1].

ويذكر أيضاً أن "حمدان بن الأشعث" القرمطي قد فرض ضريبة مقدارها ٢٠% على دخل الفرد، وقد نفذ هذا النظام بحذافيره وسماه (نظام الألفة)[2].

نخلص مما سبق أن الصراع المذهبي قد تحول من كونه صراعاً داخلياً بين حكومات الدول المستقلة كالسامانيين والغزنويين والأفراد داخل خراسان إلى صراع كيانات كبرى ودويلات فرضت نفسها على مسرح الأحداث السياسية في المنطقة مثل الزيديين والبويهيين والقرامطة، حيث نجح كلٌ من الزيديين والبويهيين في تكوين جبهات مسلحة في خراسان وخارجها لمواجهة السامانيين ومن بعدهم الغزنويون، ولكن بالنظر إلى تلك الصراعات بين هذه الدول نجد أنها قد اتخذت لباساً مذهبياً أي بين السنة والشيعة، لكنها انطوت في الحقيقة على أبعاد اجتماعية – سياسية – اقتصادية كما وضحنا، فضلاً عن أن الشيعة الإسماعيلية على وجه الخصوص قد استفادت من انتشار دعوتها في مصر والمغرب وخراسان في أن تقيم تقارباً أو حلفاً وبالفعل هذا ما حدث بين القرامطة والبويهيين بالرغم من اختلاف المذهبيين الزيدي والإسماعيلي، لكن المصلحة هنا اقتضت تحالف أو تقارب الطرفين الذي أتى بآثاره في صالح الدولة البويهية في ظل نزاعها المسلح ضد السامانيين ومن بعدهم الغزنويون.

وقد أظهر هذا التحول حقيقة هامة وهي كيف أن العالم الإسلامي انقسم إلى معسكرين، فالأول الكيان السني المستبد المتمثل في الخلافة العباسية اسماً واتباعها من الدول المستقلة، والفريق الآخر هو الكيان الشيعي المتبني لقضية

---

(٥) زكى محمد حسن ، الرحالة المسلمون في العصور الوسطى ، ط١ ، دار المعارف – مصر ، ١٩٤٥م ، ص٦٢.

(١) فاروق عمر ، المرجع السابق ، ص٢٦٩

العـدل الاجتمـاعي ممـا أفضـى إلـى ثـورتهم حتـى لـو أدى إلـى تطـرف آرائهـم ومـذاهبهم، وأبـرز أيضـاً دور الطبقـة الوسـطى فـي ازدهـار الكيـان الشـيعي ونجاح قيام دولتهم وأيضاً ضعفها أي هي المقياس الذي يحرك الأحداث.